

الروائي والكاتب الجزائري أنور بن مالك للفجر

## تدعيم بطاقات "آرتي" لمتابعة كأس العالم وعدم تدعيم الكتاب في بلادنا أمر شنيع

التقىنا بالروائي والكاتب الجزائري المغترب أنور بن مالك خلال زيارته الأخيرة للجزائر والتي تصادفت مع نشر منشورات سيديا لمجموعته القصصية الأخيرة: "الرنثة المرصعة بالنجوم"، وقد تأسف لكون الدولة الجزائرية قامت بتدعيم بطاقات "آرتي" لمشاهدة كأس العالم، ولم تفعل ذلك للثقافة والكتاب واعتبر ذلك أمرا شنيعا وأكد لنا أن هذه إحدى مآسي الجزائر، كما أخبرنا أن كتابه المقبل سيتعرض من خلاله لما يحدث اليوم في الكثير من البلدان العربية، خاصة في العراق وفلسطين وتحدث أيضا عن مساره الذاتي.

أجرت الحوار: ذهبية عبد القادر

لو طلبت منك أن تعرف نفسك للقراء

المعربين، ماذا يمكن أن تقول؟

■ أكتب منذ سنوات، وأنهيت مؤخرا كتابة كتابي الثاني عشر، وأنا أكتب الروايات وكتب أيضا شعرا وقصصا قصيرة، ودونت أول مجموعة شعرية منذ سنوات بعنوان "مواكب التلهفات" والتي صدرت عام 1984 بكندا وبعدها بعشرين سنة كتبت المجموعة الثانية والمعنونة، "كوكبي يتصاعد إلى رأسي" والتي صدرت عن منشورات فايار عام 2005. وأنا في الأساس روائي وأخر رواية صدرت لي تحمل عنوان: "أه ماري!" والتي عالجت فيها الأندلس وليس سقوطها، أي المرحلة التي شهدت نقل المسلمين نحو إفريقيا وكانت أكبر عملية نفي في التاريخ، وكانت مأساة بالنسبة للذين تم نفيهم وأيضا تطرقت لاسبانيا التي كانت نموذجًا متعدد الثقافات لأنها بعدها ستتحول إلى بلد لا يقبل تعدد الديانات والأراء، وكان ذلك بالنسبة للإسبانيين وبعض المنفيين من الأندلس، وبالنسبة لكتابي الذي صدر مؤخرا بالجزائر وهو المجموعة القصصية "الرنثة المرصعة بالنجوم" عن دار النشر سيديا وأنا سعيد بنشره في الجزائر لأن هذا سيسمح بأن تكون كتيبي متوفرة في المكتبات الجزائرية بأسعار معقولة في حين أن لحد الآن فإن كتيبي تباع بأثمان باهضة، والكتاب يسعى دائما لأن يلمس جمهورا كبيرا من القراء لأنه من المؤلف حقا أن يتوجه الكاتب لجمهور قليل العدد، وأنا سعيد جدا، لهذه البداية، وسعيد أكثر لأن كتيبي ستترجم إلى العربية وتقوم دار النشر سيديا بذلك، حيث ستصدر روايتي "طفل الشعب القديم" العام المقبل بالعربية وسبق أن ترجمت روايتي "العاشقين المنفصلين" إلى العربية دون علمي، فانا في هذه الحالة معاقب وفخور، فأن تكون كتابا ماذا يعني؟ لا يعني طبعاً أن تكون ناجحاً، إنه يعني أن تجلس على كرسي أمام الطاولة كل صباح وتكتب وتكتب وتكتب، وبعد سنتين أو ثلاث سنوات سيصدر لك كتاب، لأنك تبذل حياوتك، وأحياناً يقول لك الناس أنك جعلتهم يعيشون أشياء رائعة من خلال ما كتبت، وهذا رائع فحين يجب القارئ كتابك فهو أجمل هدية يمكن أن يتلقاها الكاتب.

ماذا تعني الكتابة لك؟

■ في أعماقي الآن لا يمكنني حتى أن أقول ماذا تمثل بالنسبة لي لأنها حياتي، فالآن دون الكتابة فانا غير موجود، لأنها الشيء الوحيد، الذي أعرف القيام به حقا، فحين أنهى تدوين كتابي، خلال أيام أحس بالسعادة كوني أنهيت كتابته، وبعدها بسرعة تعتريني رغبة في القيام بشيء آخر كتابة كتاب آخر لأننا لم نكتب أبداً الكتاب الذي أردنا كتابته ونقول، أن الكتاب المقبل سيكون الأفضل.

إن أسلوب قصصك "حواء" التي ظهرت في مجموعتك القصصية "الرنثة المرصعة بالنجوم" والتي صدرت عن دار النشر سيديا، بسيط لكن القصة مثيرة هل أردت من خلالها العودة إلى موضوع الإرهاب، خلال العشرية السوداء في الجزائر؟

■ في الواقع تعرضت لتلك الأحداث: الإرهاب وما وقع في السنوات الأخيرة في الجزائر في روايتي "العاشقين المنفصلين" وتعرضت لذلك أيضا في رواية أخرى بعنوان "هذا اليوم سيأتي" في الواقع فإني لا يمكن أن أتخلّى عن الفضح في روايتي، أريد فقط أن أتحدث عن حياة الناس العاديين حين يتواجدون في وضعيات غريبة، وخلال السنوات الماضية قتل الكثير من الناس وعاني العديد منهم وأردت أن أبين أنه رغم كل ذلك فإن الناس يبقون أناسا عاديين، يحبون، يكرهون ويضجرون وأنهم سعداء رغم كل ما يحدث ويستمرّون في العيش لأن الحياة أقوى من الموت، وفي نفس الوقت لا يجب أن ننسى، ولهذا فإن الكاتب يمثل ذلك الشخص الذي يحاول أن يقول للأخريين الذين يتألمون فيما بعد "لا تنسوا ما حدث" وعليه أتمنى أنني أسهمت في ذلك، وعلى القراء أن يقرؤوا ذلك.

تعلم أنه خلال العشرية السوداء على سبيل المثال فقدت امرأة كجواة إبنيها، بعد أن قتل أحدهما الآخر؟

■ بالتأكيد فإن أشياء مثل تلك وقعت، فإن ما يمكن أن يفعله إنسان لإنسان آخر، في حالات الحروب حتما هي أمور شنيعة، فلم يقدم فقط الأشقاء على القتال فيما بينهم، وإنما أقدموا أيضا على منح أخواتهم للإرهابيين، وقامت النساء بقتل الأطفال فالإنسان حين يريد أن يكون شريرا فإنه يقدم على فعل ما لا يمكن أن تتصوره، كل ما هو رهيب وهي إحدى الأشياء التي يمكن أن تحملنا إلى فكرة اللا ما لا نهاية، الرهيب يمكن أن يكون لا نهائي، فالصورة التي بقيت عالقة في ذهني عن تلك السنوات هي صورة طفل تم إغراقه في بئر وتم تعليقه بحبل، طفل في سن الخامسة، فمادا فعل طفل في سن الخامسة ليستحق هذا؟ مع كل ما وقع من أفعال شنيعة في تلك الفترة لدي انطباع أن الجزائر كامة تريد نسيان ذلك بسرعة، فالكل، وضع في نفس الدرجة، الإرهابي والضحية "أحنا كلنا خاوا" إن هذا إفتراء، إنه جريمة ضد الضحايا، إذا لا يجب أن ننسى فمعاناة البعض كانت في



درجة عالية من الفضاة، ونحن كامة إذا نسينا فإنا ارتكبنا جريمة، والجريمة الأولى هي الجريمة بحد ذاتها، والثانية هي جريمة النسيان، وهذا لا يجب نسيانه.

كيف راودتك فكرة كتابة قصصك الرائعة "حواء"؟

■ فإذا عدنا إلى الكتاب المقدس "القرآن الكريم" فإنا لا نجد أي شيء عن رد فعل حواء إزاء الله، بعد أن قتل قابيل أخاه هابيل ولا نجد أيضا حزنها العميق؟

■ في الواقع أريد أن أقول أن القصة هي من نسج خيال الكاتب، فإني أحمل الكثير من التعاطف لحواء وبالطبع قلت أنها حين فقدت إبنيها، أحدهما قتل الآخر هرب، طبعاً أحست بحزن الأم حتى ولو كانت حواء وبالعكس ربما كان حزنها أكبر، حزن أول امرأة في العالم تفقد أول أبناء العالم، حزن كان رهيباً ولا يمكن تصوره ولهذا سمحت لنفسني التعرض لهذا الموضوع وهنارياً لأنها تمثل كل أمهات العالم واللواتي لأجلنا عانينا خلال العشرية السوداء، هؤلاء الأمهات اللواتي فقدن أبنائهن، فإن حواء يفقدنا "لهابيل وقابيل" أحست بنفس العذاب هي أيضا وهو نموذج للمعاناة الإنسانية.

هل اعتمدت على القرآن والكريم والكتب الدينية الأخرى؟

■ بالطبع قرأت بانتباه القرآن الكريم وطبعاً انتباه شديد وقرأت أيضا نصوص التوراة وكلها تشابه للغاية في تعرضها للموضوع، خاصة في سفر التكوين، تشابه فيما بينها لكن، لا نص تطرق لمعاناة حواء والقصة من نسج خيالي.

في جميع الكتب المقدسة؟

■ كلها لم تعرض لمعاناة حواء، وأنا متأكد أنها ككل النساء تألمت كثيرا والكاتب يسمح لنفسه بأن يتخيل ذلك وطبعاً ليست سوى خيال، وليس نصاً يجب أنه تأخذه على أنه وقع بتلك الطريقة، نريد أن نقول إنه محض خيال وطبعاً ليست هي الحقيقة وطبعاً الكاتب هو ذلك الشخص الذي يكذب ليقول الحقيقة وطبعاً ما أرويه خيال، ولكن من المحتمل أن معاناة "حواء" كانت لدرجة لا يمكن تصورها وأنه يمكن أن تكون نموذجاً لمعاناة كل النساء اللواتي سيتحولن إلى أمهات في كل بلدان العالم، أريد أن أقول بما في ذلك، في الجزائر، فلسطين، رواندا، جميع الأمهات اللواتي سيشهدن ويرين موت إبنهن بسبب الفضاة ومعاناة تمثل "حواء" يمثل النموذج.

قصتك "الله، ألم الأسنان، السيرك"، التي تعرضت فيها لمعاناة فتاة شابة تدعى "أيضا" تعمل في السيرك، هل أردت من خلال كتابتها إهداء لروح جدتك السويسرية؟

■ بالطبع لأن جدتي كانت تعمل بهلوانة في السيرك. وفي هذه القصة التي تدور أحداثها في سيرك سويسري يدعى سيرك "كلينيك" والذي كان موجوداً بالفعل، أتحدث عن قدر فتاة وهي في الأساس إسقاط لشخصية جدتي، والتي كانت بهلوانة خلال فترة رهيبه وهي فترة نهاية الحرب العالمية الثانية، ومؤكّد أنني أحببت لو أنها قرأتها لكنها توفيت منذ فترة طويلة.

نجد أيضا نفس الإسقاط لجدتك من خلال شخصية "أنا" في روايتك "العاشقين المنفصلين".

■ أه، نعم، فحين يملك طفل جدة تحكي له قصص وحكايات البهلوانيين، والحيوانات المفترسة، فإنها تحضره ليصبح كاتباً.

معظم شخصيات مجموعتك القصصية الأخيرة "الرنثة المرصعة بالنجوم" حاققة على الله، فهم غاضبون، ورغم أنهم ينتهون لبلدان وثقافات مختلفة، على غرار الشخص الذي يلتقي به رشد في قصة "سنة العاهرة" وكذا، أيضا في قصة "الله ألم الأسنان، السيرك" وأيضا حواء".

■ في الواقع، إنه رد فعل كل واحد منا، فحين يحدث لك شيء فظيع، موت طفل، أشياء أخرى، شنيعة، إنك تتوجهين، ضد من ترفعين يديك إلى السماء، وتقولين لماذا؟!!

في روايتك "طفل الشعب القديم" ماذا تروي؟

■ في البداية كان موضوع الرواية يدور حول حدثين تاريخيين تعود وقائهما إلى 1870 فشهدت فرنسا أحداثاً دامية وعرفت الجزائر ثورة المقراني وتم نفي الشيوعيين وزعماء الثورة الجزائرية إلى كاليديونيا الجديدة وتم نقلهم إلى هناك في نفس السفن وهو حدث تاريخي غير معروف كثيراً، وهذا ما حفزني في البداية لكتابة رواية، وحين وصل هؤلاء المنفيين إلى كاليديونيا شهدوا مرحلة مقاومة الكناكين للسلطة الإستعمارية الفرنسية، ولم يجد هؤلاء المنفيين سوى حل واحد وهو الانضمام إلى الجيش الفرنسي لمحاربة الكناكين وفي هذا المستوى تمكنت من جمع الخطوط العريضة لروايتي وجعلت شخصيتين في روايتي، بهربان إلى أستراليا وهي الأرض الأكثر قرباً لكاليديونيا، وبما أن الكاتب يعتمد أيضاً على دراسات علمية بالإضافة للدراسات التاريخية فقد انكببت على مطالعة مستفيضة عن أستراليا لأتمكن من وصف اللقاء الذي يحدث بين الهاربين مع هذا البلد، وعثرت في دراسة أسترالية حول الحيوانات والنباتات بأستراليا، على الفقرة التالية: "آخر ذئب من فصيلة التاسفني انقرض في عام 1870 و... انقرض في نفس السنة آخر فرد من سلالة "أبوريجان" حيث تعرضوا لمذبحة بقذفان اقترتها المستعمر الإنجليزي" بعد قراءتي لهذه الكلمة أنتفضت وأدركت بالصدفة بعد الفاصلة لا معنى لها وإن إعادة وقعت تعرض لها شعب استدل عليه فقط بأنه تفصيل بالنسبة لكاتب اهتم فقط باقتراض نوع حيواني.

بعدها قمت ببحث عميق حيث ذهبت إلى متحف الانسان في باريس للإطلاع على المجلات العلمية والنصوص التي تعود لفترة 1871، وكنت معاصرة لمؤرخين أستراليين وكلما بحثت كلما عثرت على وثائق وأبحاث ويجب أن نقول أن الموظفين الأنجلوسكسونيين في القرن الـ 19 كانوا يسجلون كل الملاحظات، اللهجات، العادات، المجازر، وكلما عثرت على معلومات أصبت بالدهشة وثبت لدي أن هذه المرحلة الوحشية تضيف فيما أسميه "وجبة طعام" المشتركة لذاكرة الإنسانية وإذا قررت أن أترك موضوع الرواية التي كنت أتوي كتابتها وكتابة رواية أخرى، أي أن أكتب عن هذه المذبحة.

نجد في روايتك "العاشقين المنفصلين" أن فكرة قصصك "حواء" موجودة فيها حيث يروي عجور أعمى من جزيرة مدغشقر معاناة حواء، أعتقد أن الرواية يمكن أن تحمل جذور فكرة قصة وأن العكس يمكن أن يقع؟

■ يمكن للرواية أن تشهد ميلاد قصص والعكس صحيح، فحين أكتب نصاً طويلاً (رواية) أتأسف كوني لا أستطيع أن أطور هذه القصة أو تلك خوفاً من ائفال النص وتحول هذه التحركات أحياناً إلى إبداعات صغيرة مستقلة (قصص)، والعكس على ما اعتقد يمكن أن يحدث في تحويل قصة إلى رواية.

ما رأيك في الأدب الذي اصطلح على تسميته "بالأدب الاستعجالي"؟

■ أدب الاستعجال كان ضرورياً، فكون الجزايريون كانوا يعانون كثيراً كان يجب أن يقوم بعض الكتاب بتدوين تعاساتهم، حتى وإن كانت في بعض الأحيان أعمالهم الأدبية لم تكن في المستوى المطلوب، رغم ذلك فإن هذه النصوص ستحفظ مع ذلك طويلاً كونها تحمل شهادات

من بين الكتاب الذين قرأت لهم من هو الكاتب الذي تأثرت به؟

■ في الحقيقة أنا لم تأثر بكاتب واحد، تأثرت بكاتب عديدين وخاصة بكتب عديدة، وطبعاً أنا قرأت كثيراً، أقرأ أشياء متنوعة، وهذا يمثل فعلاً إرثاً، وتمكنت من كتابة كل ما دونت وأصدرت من كتب لأنني قرأت كثيراً، إذا لا يمكنني أن أخبرك أن هذا أثر في أكثر من الآخر، حقا لا، لكن لو أنني لم أقرأ لم أتمكن من أصبح كاتباً، إذا فانا آدين للذين كتبوا قبلي فانا آدين لهم كثيراً، قرأت كثيراً لدرجة أنني لا أستطيع أن أذكر لك الأسماء، مثلاً، غارسيا ماركيز.

أي كتاب؟

■ في روايتي "مئة عام من العزلة" وأيضاً روايتي: الحب في زمن الكوليرا، وهما كتابين مذهشين، وأيضاً أعمال لمحمد ديب، وويليام فولكتر صنع الله إبراهيم، طه حسين، والروائي الليبي، إبراهيم الكوني؟

■ لا أعرفه، سأسجل اسمه وأؤكد أنني سأقرأ أعماله وهناك الكثير من الكتب الجيدة، ومن بين مآسي الجزائر، أنه لا يوجد الكثير من المكتبات وأيضا الكتاب باهض الثمن في الجزائر وأن الشباب بذلك لا يمكنهم شراء الكتب لأنها غالية، وهذه مأساة، وأجد أن تدعيم بطاقات "آرتي" لمتابعة كأس العالم، وعدم تدعيم الكتاب أمر شنيع، إننا نملك نقوداً، فنحن بلد غني ونملك نقوداً وأقول بطريقة لا أخلاقية ما دامت الحرب أو الأزمة في إيران فإن هذا ينعكس علينا إيجابياً لأننا نكسب المال من البترول حيث يرتفع سعره فإذا لماذا لا نكرس جزءاً من ذلك لمجال الثقافة؟!

بعد روايتك الأخيرة "أه ماري"، ماذا تحضر؟

■ أفكر في كتابة أشياء حول القلق الكبير الذي تعيشه البلدان العربية خاصة العراق، فلسطين وغيرها.

طبعاً فإنك لا تملكين إجابة ولكنك تقولين لماذا؟ وأحياناً فإن الغضب حين يعتربك فإنك تكونين مستاءة من القدر، والقدر يمكن أن نسميه الله لكن، هذا الغضب هو موجه ضد الذي يسمح بهذا. وهذا الفعل "رفع اليدين إلى السماء" والتساؤل لماذا لا تملك جواباً، رد فعل عن هذا الغضب، فكل واحد منا يطلب الحساب وبعدها ثم يخضع للأمر، لكن يقول فيما بعد "يارب لماذا؟

إنك بذلك تؤكد أن كل فرد وإن كان ينتهي لوطن مختلف عن الآخر، إلا أن هناك نقاط يتشابهون فيها ويلتقون عندها؟

■ تماماً، فانا في هذه المجموعة القصصية "الرنثة المرصعة بالنجوم"، جعلت أحداثها تدور في بلدان مختلفة لكن الأفراد متشابهون، فمعاناة الأشخاص مهما كان البلد الذي ينتمون إليه فإنهم يصابون بالحزن، بالسعادة والألم، فحين يتعلق الأمر بالمسائل المهمة في الحياة، فإن الشيء نفسه يعيشه الأفراد، ولذا فإن الأمر تعلق بشخص من نيكاراغوا أو بيروت أو الجزائر، فأنهم في أعماقهم يتصرفون بنفس الطريقة وإذا فإن فيرا البولونية شخصية قصة "الله، ألم الأسنان، السيرك"، ورشد بطل الأوراس في "سنة العاهرة" أو طفل جاكوتا في قصة "انفراج في المدينة" يتصرفون بنفس الطريقة، فانا أبين لك أننا كلنا ننتمي لنفس الجنس البشري، هو نفسه الذي يقدم أحياناً على ارتكاب أفعال شنيعة وأحياناً أخرى على أفعال رائعة.

نجد "إيرن" الفتاة الصغيرة المسكينة تتقسّم نفس الهم في الحياة مع رشد" والمتمثل في رغبتهم في أن تتحقق أمنيتهما وهي: أن يأكلا حتى يشبعوا"، هل تهتم كثيراً بالأطفال الذين يعانون في هذا العالم؟

■ نعم فالشيء الأكثر فطاعة بالنسبة لي يتمثل في معاناة طفل، سلب الطفولة من طفل يعتبر أكبر جريمة شنيعة، فالإنسان يصبح حقيراً حين يتعدى على طفل، وعدد الأطفال الذين يعانون في العالم رهيب، ففي الجزائر مثلاً الأطفال الذين قتل الإرهابيون بأنهم فاتهم يعانون نفسياً كون المجتمع لفظهم وهذا أمر لا يحتمل، فانتهاك طفل هو انتهاك لقلب الإنسانية، المرحلة الوحيدة التي يعرف خلالها الإنسان الجنة ويعيشها هي مرحلة الطفولة، فالمجتمع الذي ينزع هذه الجنة من الأطفال هو مجتمع حقير ولهذا أرى أنه في معظم قصصى هناك وجود للأطفال وهذا ربما لأنني أنا أيضاً أب لطفلين وإذا فانا لا أتحمّل بأن يعتدى على أطفالتي ومن البديهي أن يشغلني هذا الموضوع.

تحب كثيراً الأطفال، هل ستكتب يوماً لهم؟

■ أظن أنني يوماً ما سأكتب للأطفال وأدب الأطفال هو في الواقع صعب جداً، إذا كنا لا نرضي بالأدب، البسيط جداً فالأطفال حاذقين جداً وأكثر مما يتصوره الكبار. جدنا شخصيات العجوز، "أنا والطفل جلال" في روايتك "العاشقين المنفصلين" والتي أصدرت عام 1998 عن دار نشر كلمان لبيضي، شخصيتين متشابهتين في رواية غابريال غارسيا ماركيز، "مئة عام من العزلة"، وهما الجد والعقيد بويديا حين كان صغيراً.

■ اعتمدت على جدتي كنموذج للتعرض لطفولتي أنا، والباقي والحمد لله اعتمدت في كتابته على خيالي.

في روايتك "العاشقين المنفصلين" يعتقد القارئ أن كل ما هو موجود في الجزائر سلبى رجال الشرطة الذين يعاملون "جلال" بقسوة ويتصرفون معه كأنه حيوان، ألا تعتقد أنه كان هناك أمل في غد مشرق في جزائرننا، في تلك الفترة التي كتبت فيها أحداث القصة (1997)؟

■ في روايتي "العاشقين المنفصلين" تحدثت عن الواقع في الجزائر وكان واقعا رهيباً في جميع النواحي، أولاً من ناحية الإرهاب، طبعاً، وأيضا في أمور متعلقة بالشرطة والجيش، تحدثت عن الجزائر كيف كانت في تلك الفترة وليس عن الجزائر التي تميتت أن تكون، لكن "جلال" في الرواية يمثل الجزائر رغم كل شيء، لأنه طفل ولأنه أمل.